تعريب العلوم ووضع المصطلحات

د. خضر بن عليان القرشي

إدارة التعليم العالي/الرياض

ملخص

حاولت في هذا الموضوع أن أبرز أهم مشاكل التعريب والمصطلحات العلمية والسبل المؤدية إلى النهوض بهذا العبء ، فتطرقت إلى الآراء التي تدعو إلى حتمية التعريب ووجوبه والآراء التي لا ترى مبررا لذلك ، ثم تناولت الدواعي التي تدفعنا إلى المضي بهذه التجربة وأن من أهم مشاكلنا هي المصطلحات والمكتبة العربية وعضو هيئة التدريس ، فأبديت بعض الحلول لتلك المشكلة وضربت لذلك أمثلة من بعض الدول التي رأيت ضرورة استخدام لغاتها القومية .

ثم أبديت رغبتي في إيجاد دور للنشر والترجمة سابقا لطور الإنتاج والإبداع الذاتي الذي هو ضرورة حتمية نسعى إليها لنصبح أمة منتجة ومصدره للعلوم والتقنية لا أمة مستهلكة .

المقدمة :

وقفة تاريخية :

عند الحديث عن اللغة العربية وامكانية استخدامها في جميع الحقول وعلى مختلف المستويات يبرز لنا ثلاثة آراء رئيسية :

الرأي الأول يتعصب للعربية ويرى أنها قادرة على الوفاء باحتياجاتنافي جميع الحقول على مرّ العصور كيف لا وهي التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ولديها من الخصائص ما يجعلها طيّعة ومرنة للتعايش في كل زمان ومكان وحججهم في ذلك ما يلي[1] :

1) لابد للعربي أن يتعلم بلغته للحفاظ على قوميته التي تعكس حبه وولاءه لقومه وأمته .

2) أثبتت الدراسة التربوية الحديثة أن الطالب أسرع وأكثر فهما واستيعابا للمادة لو استخدم لغته الأم .

3) استعمال العربية قد يسهل التبادل الفكري بين علماء العرب ويشجع نضوج البحث العلمي .

4) استعمال العربية يتيح الفرصة أمام جميع الطلاب فربما يظهر لنا الطبيب والمهندس الجيد ولكن اللغة الأجنبية قد تحول دون ذلك .

فاستخدامنا للعربية قد يحقق عدالة أو ديموقراطية التعليم وبهذا تكون الفرصة متاحة لكل طالب لأن التعليم حق لكل مواطن .

(1) بشير العظمة «لغة العلوم» مجلّة المعرفة ، عدد 47 ، السنة الرابعة ص 7 – 10 .

5) استخدام العربية واجب ديني فالحفاظ على لغة القرآن أمر لا جدال فيه .

6) تحاشي الفجوة بين الطبقة المتعلمة والطبقة العاملة التي قد تنتج باستخدام اللغة الأجنبية .

والرأي الثاني على النقيض من الأول ، فدعاة هذا الرأي يرون أن العربية لغة جميلة ولكنها لا تفي باحتياجات العصر العلمية وقصروا دورها على الأمور الدينية والاجتماعية وما إلى ذلك واحتجوا بما يلي[2] :

1) استخدام اللغة العربية قد يسبب عزوف الطلاب عن اتقان لغة أجنبية فيضع ذلك بينهم وبين العلم سداد يجعلهم بمعزل عنه .

2) التطور السريع للعلوم والمصحوب ببطء حركة التعريب يجعل الأمر عسيرا على الوفاء بكل ما يحتاجه الطالب والمدرّس من مصطلحات .

3) عدم التنسيق في المصطلحات بين الدول العربية قد يؤدي إلى بلبلة وتشويه ذهن المعلم والمتعلم .

4) بعض طلاب الجامعات العربية يبعثون إلى الخارج للدراسة العليا لذا فلابد من توفير منهج وطريقة تناسب طبيعة الدراسة في الخارج .

5) ليس هناك خوف على القومية العربية من استعمال اللغة الأجنبية لأن العلوم موضوع عالمي ومشترك بين الشعوب .

والرأي الثالث يمثل الاعتدال — لا إفراط ولا تفريط — ويرى أن اللغة لو أتيحت لها الفرصة وحسن التنظيم والتخطيط لوفت بمتطلبات العصر .

وموضوع الترجمة والتعريب ليس بحديث عهد فقد عرفه العرب منذ جاهليتهم فاستعملوا كلمات فارسية مثل السميد والدولاب والسندس والإبريق ثم امتد التعريب إلى العهد الأموي فعربت الدواوين ، ثم جاء العصر العباسي ونشطت حركة الترجمة والتعريب والتأليف . فكان الطب سومريا ثم هنديا ويونانيا فأخذ المترجمون العرب ينقلون ذلك إلى لغتهم حتّى أصبح الطب عربيا ينقله العالم بأسره إلى لغاتهم[3] ، يقول لوكليرك .. «لم يكد ينقضي القرن الثامن حتّى كان العرب قد ملكوا جميع علم اليونانيين ، وحتّى أضافوا إليه الكثير مما ابتكروه أو نقحوه أو جردوه ، وحتّى اجتمع لهم في خزانة قرطبة وحدها زهاء 600 ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون» ويزيد لوكليرك بقوله : «ويعد أبو القاسم الزهراوي الذي كان في علمه وفي الجراحة خاصة منقطع النظير حتّى انتهت إليه رئاسة الجراحة في القرون الوسطى ، كما يعدّ كتابه المصور في الجراحة ، الذي وضع به طرائقه ومبتكراته في الفنون الجراحية وفي مختلف الآلات التي صورها أحسن تصوير آية كبرى بين المؤلفات العربية الرائعة»[4] .

ويقول وليم أوسلر : «لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية فانهم مالبثوا أن أصبحوا جميعا شعلة وهّاجة استضاء بنورها أهل الأرض»[5] .

ويقول سارتون : «إنه لعمل عظيم جدا أن ينقل العرب علوم اليونان وفلسفتهم وأن يزيدوا عليها حتّى أوصلوها إلى درجة مرموقة من النمو والارتقاء»[6] .

ويقول سيديو : «إن العرب كانوا أساتذة أوروبا كلها في جميع فروع المعرفة فقد انتشرت إليها علومهم من مصر وسورية إبان الحروب الصليبية ومن صقلية ونورمانديا وجنوبي ايطاليا في عهد بني الأغلب ، ومن الأندلس

(2) عبد الرزاق قدورة «لغة العلوم» مجلة المعرفة ، عدد 55 / 1966 ، ص 19 .
(3) صفاء خلوصي ، «تعريب الجامعات احياء لكيان أكاديمي عربي أصيل» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية . دمشق 1982 ، ص 3 .
(4) عزة ميردن ، «لغة العلوم» ، مجلة المعرفة ، عدد 55 / 1966 ، ص 605 .
(5) نفس المرجع ص 7 .
(6) نفس المرجع ص 7 .

انتشرت العلوم بواسطة التراجمة»[7] .

ولست أورد هذه الأمثلة لأرفع من مكانة العرب العلمية ولكني أردت أن أثبت حقيقة وهي أن العلوم والحضارة أخذ وإعطاء ، وأن كل أمة من الأمم أسهمت بنصيبها في بناء صرح الحضارة الحديثة وكل أمة انتجت بلغتها وقبل الانتاج ترجمت ونقلت إلى أن وصلت إلى مرحلة الابداع .

ولكن ما أصاب الأمة العربية من ظروف سياسية واقتصادية لم يكن خافيا ، الأمر الذي أدّى إلى ركود في الفكر وضعف في الثقافة حتّى آل الأمر إلى التبعية الثقافية والفكرية . ولكن لم تخل الأمة من رجال إصلاح وفكر ولكن الغزو الفكري والنفوذ السياسي قد يتفوق أحيانا ونورد على سبيل المثال وضع اللغة العربية في مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده .

حيث كانت اللغة العربية هي لغة العلوم في مصر يوم أسس محمد علي مدرسة للطب عام 1826 — 1827م في ابن زعبل وبعد حوالي عشر سنوات نقلت تلك المدرسة إلى القصر العيني بالقاهرة واللغة العربية هي المستخدم حينذاك حيث أسهمت في تعريب العلوم ونشطت حركة الترجمة والتأليف في العلوم المختلفة كالنبات والأحياء والكيمياء والطب والصيدلة وعلوم الأرض ، واستمرت الحال حتّى كان الاحتلال البريطاني عام 1898 فحول تدريس الطب إلى اللغة الأنجليزية وألحقت به بقية العلوم واستمر ذلك الوضع[8] .

يقول تاجر : «كان التعليم في المدرسة الطبية باللغة العربية ، يتخرج منها الأطباء والعلماء ، فيعلّمون بالعربية ويؤلفون بالعربية أو يترجمون إلى العربية وهم نخبة رجال هذه النهضة وعليهم كان المعول في نقل العلوم الحديثة بالترجمة أو التأليف أو التلخيص ظلوا على ذلك نحو سبعين سنة ثم رأت الحكومة سنة 1898 أن تغير برامج هذه المدرسة فأدخلت فيها اصلاحات كثيرة من حيث اتقان المعدات والأدوات وادخال المواد الحديثة ولكنها جعلت صبغتها أنجليزية ، ثم استقدمت الحكومة مديرا من كبار مديري المدارس الطبية في لندن — وطلبت إليه أن يرفع تقريرا في اصلاح هذه المدرسة فأشار بضم المستشفى إلى المدرسة وانشاء إدارة واحدة لهما وذكر اصلاحات تتعلق بالدروس والأساتذة ولغة التدريس وغير ذلك . وفي سنة 1898 جعلوا التعليم فيها باللغة الأنجليزية وضمت المدرسة إلى المستشفى وجعل نظامها يشبه نظام مدرسة الطب بجامعة لندن ، بل اشترط في كل من يريد الالتحاق بها إجادة اللغة الأنجليزية إذ صارت جميع الكتب فيها بالأنجليزية ، كما أصبح جل المدرّسين وكثير من المديرين من الأنجليز ، وصارت المحاضرات تلقى باللغة الأنجليزية دون سواها»[9] وحدث في لبنان ما حدث في مصر حيث بدأت مدرسة عبيه الأميركية بتدريس العلوم باللغة العربية ثم تحولت تلك المدرسة إلى بيروت وسميت بالكلية الأمريكية وظل التدريس بالعربية وقد برز من تلك المدرسة أساتذة أمريكيون ألفوا بالعربية أمثال فنريك وبوست الذي ألف بالعربية «المصباح الوضاح في صناعة الجراح» والأقرباذين والمواد الطبية ، ومبادئ التشريح ، ولم تمض فترة وجيزة حتّى تغيرت الحال وحلت الأنجليزية محل العربية[10] . واستمر ذلك الوضع في معظم الدول العربية إلى يومنا هذا وكان من نتائج ذلك أن العرب أصبحوا غير قادرين إلى إرجاع الأمور إلى نصابها وكلما انتظروا يوما تعقدت الأمور وكثرت المشاكل وصعب الحل وبهذا أصبحوا شبه مجبرين على استخدام اللغة الأجنبية ومن الأسباب على سبيل المثال التي أدت بهم إلى الاستمرار في استخدام اللغة الأجنبية :

1) الغالبية العظمى من أعضاء هيئة التدريس تلقوا

(7) نفس المرجع ص 7 .
(8) شحادة الخوري ، «تعريب التعليم» ، الشرق الأوسط ، 1981/11/29 ، ص 13 .
(9) جاك تاجر ، «حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر» ، دار المعارف بمصر ، ص 23 .
(10) شحادة الخوري ، نفس المرجع ، ص 13 .

تعليمهم بلغة أجنبية وليس من السهل التخلي عنها بمجرد إبداء الرغبة في التعريب.

2) حداثة الجامعات العربية واعتمادها على المدرسين الأجانب.

3) التطور السريع للعلوم والتكنولوجيا المصحوبة ببطء سير حركة التعريب في الوطن العربي يجعل الأمر عسيرا على المترجم والمعرّب على حد سواء.

4) كثرة المصطلحات التي تقدر بحوالي 50 إلى 100 مصطلح يوميا.

5) قلة التنسيق بين الدول العربية في مجال التعريب.

6) غياب المنهج المناسب باللغة العربية في الوقت الراهن.

7) تخوف بعض الأساتذة من التدريس باللغة والتهيّب منها لأن ذلك يحتاج إلى جهد كبير.

8) بعض الباحثين يفضل أن ينشر بلغة أجنبية لأن الفرصة متاحة له أكثر من نظيره الذي ينشر بالعربية فقرّاء الأول أكثر.

حاجتنا إلى التعريب :

وبعد هذا العرض التاريخي للقضية يعترضنا السؤال التالي : لماذا نريد أن نستخدم العربية في الظروف الراهنة ؟!

والحقيقة أن الإصرار على استخدام العربية يعد من قبيل التعصب الذي لا مبرر له كتعصب لقومية أو وطنية بل الأمر يتعدّى إلى أعمق من ذلك. فاللغة لها دورها الفعال في تنمية العقل البشري لأن الفكر يخضع لقوى معينة اكتسبها في المرحلة الأولى من الطفولة، ويؤيد ذلك ما أثبته علم النفس بأن الصلة العضوية بين اللغة ونشوء العملية وتطورها عند الانسان.

وتؤكد البحوث الفسيولوجية استحالة حدوث الفكر المجرد إلا عن طريق الكلمات التي هي وعاؤه المادي(11).

يقول ديكارت : «أولئك الذين يفكرون خير تفكير ويهضمون أفكارهم خير هضم ليجعلوها واضحة مفهومة، يستطيعون دائما أكثر من عداهم أن يلقنوا الآخرين آراءهم ولو لم يتكلموا غير اليونانية السفلى(12).

فاللغة الفقيرة تدل على ضيق الفكر وتؤدي إليه، واللغة القومية المتينة تدل على عمق الفكر وتطوره، فإذا لم تكن لنا لغة جيدة صحيحة فلا يكون لنا فكر جيد صحيح، والابداع العلمي والحضاري لا يتسنّى لنا إلا باستخدام لغتنا لأن بين الفكر واللغة رابطة لا تنفصم ومن السهل أن نفكر ونتحدث وننتج بلغة ألفناها منذ الصغر لأن التعليم أكثر فعالية ومضاء باللغة الأم منه بلغة أجنبية(13).

والدراسات الحديثة لعلم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics) تشير إلى أن هناك صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع، فالمجتمعات المتجانسة لغويا Linguistically Homogeneous (*) تكون أكثر تطورا من غيرها في الحقل السياسي والاجتماعي والتعليمي(14)، فتعميم اللغة العربية يحقق أصالة الفكر والبحث العلمي الذي يمكننا أن ننتقل من دور أمة مستهلكة للعلوم والتقنية إلى أمة منتجة ومصدرة لها.

فالدعوة إلى استخدام اللغة العربية ليست بدعا ولا أمرا مستنكرا. فليس هناك دولة في العالم إلا واستخدمت لغتها القومية لغة للتعليم المتقدم كخطوة أساسية لبناء جيل

(11) جعفر نوري، «اللغة والفكر»، مكتبة النومي، الرباط 1971، ص 36 — 104.
(12) عبد الله اسماعيل، «بحث حول تعريب التعليم الجامعي العربي»، ص 1.
(13) محمد عزيز لحبابي، عبد الله العلايلي، من كتاب «تأملات في النحو واللغة».

(*) Joshua A. Fishman «Some contrasts between linguistically homogeneous and linguistically heterogeneous political, sociological inquiry», spring, 1966. P. 152.

(14) محمد حسن ابراهيم، «استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي»، ص 415.

يستطيع تحمل أعباء البحث والتخطيط والاسهام في خطة التنمية الشاملة لوطنه ، وقد أدرك الاتحاد السوفياتي خطورة تعلم الفرد بغير لغته فلم يفرض اللغة الروسية بل سمح للغات المحلية بأخذ نصيبها كي يتسنّى للفرد أن يتلقّى تعليمه باللغة الأم ومع هذا فقد أدرك الاتحاد السوفياتي أيضا ما للوحدة اللغوية على الأمة من فوائد فقد فرض تعلم اللغة الروسية وأصبحت أمرا الزاميا على جميع المواطنين . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد أبت حتّى الدول الصغرى مثل ألبانيا وغيرها إلا أن تدرس بلغتها القومية على جميع المراحل ، وخير مثال نسوقه للعبرة هنا هو اسرائيل ، فقد أصرت على استخدام العبرية في التعليم ولم يكن ذلك اعتباطا ولكن سبق ذلك الاصرار على عمل للترجمة والنقل فقد عرفت العبرية النحو في الأندلس حيث نشطت حركة الترجمة من العربية بين اليهود ثم تطورت حركة الاحياء[15] هذه حتّى أصبحت تشمل الكتب المدرسية فترجمت من الألمانية والروسية إلى العبرية .

وقد بلغ اهتمام اليهود بلغتهم ما قام به ابن يهودا من تقديم مذكرة إلى المندوب السامي البريطاني يطالبه فيها بتعميم استعمال العبرية في جميع المجالات الرسمية وغير الرسمية أسوة بالعربية والأنجليزية وقد ورد في رسالته قوله : «إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية في منزلة دون منزلة اللغتين الأخريين (العربية والأنجليزية) في البلاد» ولم يمض سوى زمن قصير حتّى كان له ما أراد[16] .

وعندما افتتحت الجامعة العبرية أكد اليهود عزمهم على أن تكون العبرية لغة الجامعة الأمر الذي جعل بلفور يحتفي بتلك المناسبة ويصفها بأنها فريدة وتكهن بنجاحها . ولم يخطئ ظنه ، فقد أصبحت العبرية لغة التعليم في جميع المجالات وعلى جميع المراحل[17] .

وعندما أرادت الجمعية اليهودية الألمانية التي تموّل بعض المدارس اليهودية في فلسطين أن تنشئ في حيفا معهدا للتكنولوجيا على أن تكون الألمانية هي لغة التدريس بحجة أن العبرية ليست متطورة بالقدر الذي يسمح لها باستعمالها في حقل العلوم والتكنولوجيا ، عمت فلسطين موجة من الاحتجاجات وأضرب المعلمون اليهود كما استقال بعض العاملين في المدارس الألمانية وأغلقوا تلك المدارس وأقاموا بدلا منها مدارس عبرية .

كل هذه الأمثلة تشير إلى عزم وإرادة اليهود وموقفهم تجاه لغتهم ومما يؤكد ذلك أيضا ما اشترطوا على الطلاب الذين لا يستطيعون المضي في الدراسة بالعبرية بسبب ضعفهم فيها (*) ، فيخصص لهم برنامجا تحضيريا لمدة سنة يتعلمون ما يساعدهم على استخدام العبرية في الجامعات وقد يتساءل شخص عن المشاكل التي اعترضتهم وكيفية علاجها حتّى حققوا ما حققوه بالرغم من أنهم يمثلون جنسيات متعددة وألسنة مختلفة ومتباينة ؟![18] .

وأقول أن مشاكلهم ليست بأقل ولا بأيسر من مشاكلنا فهناك مشاكل لغوية اعترضت مسيرتهم ولكن سوف أركز على مشكلة المصطلح والكتاب عندهم لتوافق ذلك مع ما نواجهه ، فمشكلة المصطلحات عندهم ليست بأيسر من مشكلتنا إطلاقا ، ولكن مجمع اللغة العبرية له من النفوذ ما يجعله ينفذ قراراته ويجعلها سارية المفعول بل ويلزم الهيئات والمؤسسات الخاصة والعامة على استعمال نتاجه .

وبهذا تصبح قراراته نافذة بعد توقيع وزير المعارف والثقافة عليها ، وبعد ذلك تنشر في الجريدة الرسمية وتلزم بها الدوائر الحكومية والأهلية ، ونتيجة لذلك نمت اللغة العبرية ونشطت حركة البحث العلمي .

(15) محمد حسن ابراهيم «اللغة العبرية في التعليم» مؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، دمشق 1982 ، ص 3 .
(16) محمد حسن ابراهيم ، نفس المرجع ، ص 8 .
(17) محمد حسن ابراهيم ، نفس المرجع ص 10 .
(*) الطلاب المهاجرون من اليهود لا يحسنون العبرية بل قد لا يكون لديهم الدراية بها على الاطلاق وهؤلاء يمثلون نسبة كبيرة .
(18) محمد حسن ابراهيم ، نفس المرجع ، ص 10 .

أما مسألة الكتب والمصادر فقد كانت غير متوفرة في السنوات الأولى ، وتمكنوا من حل تلك المشكلة بالسير والالتزام ببرنامج محدد للترجمة والنقل فأنشأوا مطبعة جامعية كانت أولى مطبوعاتها الكتب الجامعية المقررة ونشطت الترجمة وقابلت نجاحا كبيرا فنشرت بعض الترجمات والدوريات بالعبرية الأمر الذي شجع وساعد أساتذة الجامعة على التأليف والترجمة حيث فرضت لهم عطايا سخية .

ولن يتمكن العرب بتشكيل كيان متميز يسهم في احياء فكرهم الثقافي والحضاري بدون اللغة العربية وأن تصبح لغة التعليم في جميع مراحله ، فقدجربت واستخدمت جامعاتنا اللغات الأجنبية منذ تأسيسها ومع ذلك فلم نر ابداعا يذكر ولا انتاجا يفخر به لا على المستوى المحلي ولا العالمي . حتّى مستوى التعليم في البلاد العربية أصبح متدنيا ، فقد قامت دراسة حول مستوى التعليم في البلاد العربية ولوحظ أن مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في البلاد الراقية ، كما أجريت دراسة حول المصطلحات والمدركات الواردة في الكتب المدرسية حيث كان مجموعها لا يتجاوز ثمان مائة مدرك مقابل ألف وخمسمائة مصطلح لدى طفل البلاد الراقية بمعنى أن مستوى إدراك الطفل العربي يقل عن مستوى قرينه الأجنبي بمقدار النصف ، ولذلك فالطالب العربي يعاني من ملاحقة المدركات العلمية في المراحل الجامعية معاناة مؤلمة نتيجة لهذا المستوى المنخفض[19] .

وإذا أرادت الجامعة أن تحقق احدى غاياتها وهي خدمة المجتمع فيجب عليها أن تتصل اتصالا مباشرا بهذا المجتمع ، وخير وسيلة للاتصال هي اللغة ، وبهذا تربط الباحث والعالم بمجتمعه ومتطلبات عصره ، وإذا أردنا أن نحكم الصلة بين ما نعلمه لطلابنا وما نعدّهم من أجله فعلينا أن نجعل الجامعات دعائم أساسية لتخريج جيل تتنور بصائره بانتمائه إلى أمته ومدرك لذاته وثقافته ودوره في مجتمعه . فالجامعة — إذن — إذا رغبت في تحقيق دورها والوصول إلى أهدافها لابد أن تعرف ماذا تدرس ؟ ولماذا ؟ وبماذا ؟ وكيف ؟ ولمن ؟[20] .

يقول نيومان : «إن التعليم الجامعي يستهدف النهوض بالمستوى الفكري للمجتمع وإلى الارتقاء بالفكر العام وإلى تنقية الذوق القومي ، وإلى تزويد الحماسة الشعبية بمبادئ حقيقية ، وتزويد الأماني الشعبية بأهداف ثابتة وإلى منح أفكار العصر فخامة ورصانة وإلى تسهيل ممارسة الحقوق السياسية والعمل على صفاء مجرى الحياة الخاصة وانها تعد أي انسان لأن يتقن أي موضوع في سهولة ويسر»[21] .

ويرى بيكون : «أن الجامعة إذا لم تحقق فائدة الانسان فهي لمجرد المتعة والبهجة بينما يجب أن تكون كزوجة ولود»[22] .

ويقول نيومان أيضا : «ان المعرفة قادرة على أن تكون غاية في ذاتها ، وهذا دستور الفكر الانساني مهما كان نوع المعرفة فهي ثمرة لذاتها» .

فالجامعة إذن يجب أن تفي بحاجات المجتمع ومتطلباته ، فلا قوام لأي اصلاح إذا أخفقت الجامعة في أداء دورها ، فلابد لها أن لا تنفصل عن شخصية وكيان الأمة لكي لا تفقد دورها ورسالتها .

ولست أريد هنا أن أثبت أن التعليم باللغة القومية ضرورة حتمية ، فقد عقدت المؤتمرات والندوات وأبرمت التوصيات على أن استخدام اللغة العربية ضرورة علمية ووطنية وحضارية بالاضافة إلى الرابط الديني الذي يربطنا بهذه اللغة ، وقد ورد في احدى الندوات «أن الفكر

(19) عبد العزيز بنعبد الله ، «مظاهر القوة والأصالة في اللغة العربية وأسباب الضعف الطارئ» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية / دمشق 1982 ، ص 15 .
(20) عبد السلام التونجي ، «أثر الجامعة واللغة في التعريب والتعليم العالي» ، ندوة تعريب التعليم الجامعي ، الرياض 1981 ، ص 12 .
(21) عبد السلام التونجي ، نفس المرجع ، ص 8 .
(22) عبد السلام التونجي ، نفس المرجع ، ص 8 .

الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلم بلغتها وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا ..» .

ولست أريد هنا أيضا أن أثبت حقيقة لغوية أخرى وهي أنه ليست هناك لغة تعجز أن تعبر عن حاجات المجتمع ومتطلباته ولكن أصحاب اللغة هم الذين ينجحون أو يخفقون في حمل تلك الرسالة . ولكني أود أن أؤكد أن هناك بعض المشاكل التي تواجهنا جميعا في تحقيق هذا الهدف ومن أهمها :

1) الافتقار إلى المصادر العربية العلمية الكافية والصالحة للتدريس .

2) قلة المصطلحات العربية وعدم الوحدة والتخبط في استعمالها .

3) بطء حركة التعريب في الوطن العربي نتيجة للعجز المادي والبشري الذي تعاني منه المجامع اللغوية ومؤسسات التعريب .

4) موقف ونظرة بعض العرب للغتهم .

5) ضعف بعض المدرسين العرب في لغتهم الأمر الذي يجعل من الصعوبة عليهم التعليم بها .

6) ركود الترجمة في الوطن العربي .

7) الحواجز السياسية بين الدول العربية جعلت من الصعب على كل دولة معالجة المشكلة منفردة يصحب ذلك عدم التنسيق بين الجامعات العربية في هذا المجال .

8) اضطراب مناهج التعليم .

وبالرغم من توفيق العاملين في هذا المجال من توفير القواعد اللازمة للوضع والاشتقاق والنحت والتركيب ووضع المقابل العربي ، واستحداثهم أوزانا جديدة وتوسعهم في صوغ الأفعال المزيدة ، وصيغ الأسماء والمشتقات ، وفي اجازتهم الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء المنحوتة أو المعربة إلا أن مشكلة المصطلحات من أصعب المشكلات التي تعترض مسيرة التعريب التي ماتزال تتعثر . وقد شعر العاملون بخطورة الأمر ، فعقد مؤتمر الجزائر لتوحيد المصطلحات العلمية ثم عقد المؤتمر الثالث في طرابلس لاستكمال ما تبقّى من مواد مرحلة التعليم العام ، وقد وضع نهاية عام 1983م نهاية التخطيط العشري لتوحيد المصطلحات إلا أن ذلك ظل حبيس الرفوف .

ويرجع تعدد المصطلحات إلى أمور أهمها :

1) اختلاف الأذواق عند واضعي المصطلحات .

2) اختلاف مصادر الثقافة اللغوية عند المترجمين والمعربين .

3) العمل الفردي من قبل بعض المؤلفين واستقلالهم باجتهاداتهم الخاصة .

4) عدم الالتزام والتقيد بما يصدر من المجامع والمؤسسات العاملة في حقل الترجمة والتعريب ، وربما كان ذلك نتيجة للقيود التي وضعها علماء اللغة والعاملون في مجال الترجمة والتعريب ، فقد راعوا خصائص اللغة العلمية من حيث صياغتها ومطابقتها لروح وظيفة العلوم بحيث تكون بسيطة الأسلوب دقيقة المعنى محدودة الألفاظ واضحة المدلول وأن تكون لفظاً لا عبارة . كما أنهم حبذوا البحث في بطون كتب التراث القديم ، والرجوع إلى الأصول اللاتينية والاغريقية عند ترجمة المصطلحات .

ونتيجة لذلك حدث اختلاف في منهجية الترجمة والتعريب وانقسم العاملون في هذا الحقل إلى مؤيد ومعارض لتلك الشروط ، فيرى محمد كامل حسين أن البحث في بطون الكتب القديمة قد انتهى عهده وفيه عيوب علمية كثيرة جدا لأن مصطلحات القدماء تقوم على تصورات قضى عليها زمن قديم وإذا أردنا احياءها من جديد كان الخلط واللبس ، فالطبيب المعاصر يصعب عليه تفحص روح الطبيب القديم فيفهم علمه ولو فهمه

لفسد عليه تفكيره. ويرَى أيضا أن ترجمة الأصول اللاتينية أو الأغريقية للمصطلحات العربية ليست مقبولة لا عقلاً ولا علماً بالرغم من أنها هي الطريقة المحببة إلى اللغويين[23].

ويرَى بن فارس أنه «ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها»[24].

ولست أدري ماذا يقصد ابن فارس بفساد اللغة فهل النموّ والتطور في اللغة فساد لها؟ ولماذا التضييق. فرحم الله العلماء الأقدمين حيث وسعوا على أنفسهم الكثير واستخدموا الكثير ونحن نعلم اسهامات أولئك العلماء – من أمثال ابن سينا والبيروني والخوارزمي وغيرهم – العلمية وكانت وسيلتهم اللغة العربيةُ وظلت مؤلفاتهم مراجع معتمدة طيلة قرون عديدة ولكنهم لم يثنوا أنفسهم عن استعمالات مثل اريثماطيقي، واسطرونيا، فلماذا الحرج الآن في استعمال أكسجين وترموميتر وكمبيوتر وباروميتر وغير ذلك.

لست داعيا ولا محبذا لفكرة الدخيل ولا كاسراً لقواعد اللغة ولكن أحبذ اختصار الوقت على أنفسنا بتعريب أو ترجمة أو نقل ما أمكننا نقله من المصطلحات إلى العربية وترك ما تعسر علينا لوقت لاحق – أرجو أن لا يطول – أما المصطلحات التي اكتسبت صفة عالمية فأرَى ابقاءها حتّى تتم مناقشتها عند التفرغ من الأهم.

وبهذا الصدد أود أن استأنس بتعريف السيوطي للتعريب وهو «ما استعمله العربي من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها».

وقد وضع البيروني منهجاً أرَى أنه جدير بالمناقشة وجاء فيه[25]:

1) أنه يفضل ذكر اللفظة مرة واحدة بلغة أهلها لتعريفها.

2) إذا كان اللفظ مشتقا أو يمكن تحويله إلى العربية اعتمد هذا المقابل ولا يجوز الميل عنه إلى غيره.

3) ان كان اللفظ الأجنبي هو الأخف يحتفظ به ولو وجد له مقابل في العربية ثقيل على السمع.

4) ان كان الدال اللغوي إشارة مقتضبة مشهورة أخذ بها.

5) إن كان له اسم مشهور في العربية أخذ به.

ولست هنا مؤيدا لمنهج دون آخر ولا داعيا لنظرية ولا متحمسا لموقف بل أقول لماذا نضيق على أنفسنا ونحجر عليها فنحن بمواقفنا هذه تجاه اللغة نعرقل المسيرة ونتيح الفرصة للجدال والنقاش الذي لا طائل تحته، ولكي نسخر اللغة ونطوعها لتحقيق ما نهدف إليه فلابد من تشكيل لجان متنوعة الاختصاص يسيرون على منهج ثابت يقومون بترجمة وتعريب ما استجد من علوم ومعارف فعلماء اللغة وحدهم لا يستطيعون القيام بهذه المهمة كما أن أهل العلوم وحدهم لا يستطيعون ذلك، فإنه ليس من العدل أن يطلب من مؤلف العلوم أن يبحث في المصطلحات ويتفقّه في اللغة، كما أنه ليس من العدل أن يطلب من علماء اللغة امداد مؤلفي العلوم بالمصطلحات التي تناسبهم وتروق لهم ولهذا كثيرا ما يفاجأ علماء اللغة وواضعو المصطلحات رغم تحري الدقة والجمال بقبول فاتر لمصطلحاتهم من قبل أهل العلوم.

وتكون الحاجة إلى مثل هذه اللجان متعددة الاختصاصات ملحة عندما نعلم أن الاحصاءات الحديثة تشير إلى أن 50٪ من مجموع المصطلحات في العالم من اللغة الانجليزية والبقية الباقية موزعة بين لغات العالم يأخذ الاتحاد السوفياتي وفرنسا واليابان وألمانيا نصيب وافر، كما أن غالبية هذه المصطلحات مستمدة من جذور وأصول لاتينية لذا فإنه من الأصوب أن لا تعتمد على مصدر واحد عند الترجمة أو التعريب أو التأليف.

(23) محمد كامل حسين، «اللغة والعلوم»، مجلة اللغة العربية، ص 12، 1960، ص 19 – 28.
(24) عبد الله اسماعيل، المرجع السابق ص 1.
(25) عبد السلام التونجي، المرجع السابق، ص 20.

وحاجتنا إلى وضع معاجم متخصصة في مختلف الحقول ليست بأقل من حاجتنا إلى وضع المصطلح ، فبالرغم من وجود معاجم متخصصة وعلى مستوى رفيع من الدقة والنضج مثل معجم شرف ، والحيوان للمعلوف ، ومعجم الألفاظ الزراعية للشهابي ، ومعجم النبات لأحمد عيسى وغير ذلك من المعاجم الصادرة من المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، إلا أن ذلك لم يكن معلوما عند أكثر المشتغلين بتدريس العلوم في الجامعات العربية .

لذا فأنا أرى ضرورة انشاء معاجم متخصصة تضم المصطلحات العلمية التي استعملت في العصور المتقدمة إضافة إلى ما ترجم وعرّب حديثا لتحاشي الازدواجية في العمل والمجهود . ويتم ذلك عن طريق عمل موحد يشترك فيه علماء مؤهلون لحمل هذه المسئولية ، على أن تعالج المصطلحات وترتب حسب موضوعاتها ويتم احصاء المصطلحات بطريقة الحاسب الآلي تحريا للسرعة والدقة ، ثم توضع في متناول يد كل باحث وعالم وراغب في الوطن العربي .

وفي اعتقادي أن مسألة التعريب لا تتم إلا بانشاء دور للترجمة والتعريب، ومكانها المناسب هي الجامعات وحاجتنا إلى الترجمة ماسة سواء كانت فورية أو آلية. وقد يُحقق ذلك باستقطاب العقول العربية المهاجرة وبذلك نستطيع الحفاظ أو التقليل على ما يسمّى باستنزاف الأدمغة *(Brain Drain)* [26] التي طالما عانينا منها أشد العناء .

وتنوع الاختصاص قد يعيننا على تدريب طبيب ومهندس وكيميائي وفيزيائي أو غير ذلك حتّى يصبحوا مترجمين بارعين ، فالترجمة ليست عملا آليا ليُستهان به ، بل عملا ابداعيا خلاقا يتطلب مهارات وتدريبا مكثفا ، ولكي تكلل هذه الدور والمؤسسات بالنجاح لابد من انشاء دور للنشر تنشر وتطبع ما ينتجه أولئك المترجمون والمعربون .

وعلى الرغم من أهمية الترجمة والتعريب إلا أن ذلك غير كاف لأن العلوم بأنواعها في تطور مستمر ولذا فقد يعسر على المترجم والمعرّب اللحاق بهذا التطور والاستمرار فيه ومجاراته . لذا فالانتاج والتأليف الأصيل باللغة العربية في مختلف العلوم أمر يجب أن يصحب الترجمة ، وعندما تتجاوز دور الأمة المستهلكة لنتاج غيرها ونصل إلى دور الأمة المنتجة نكون قد حققنا شيئا لا يمكن انكاره . ولا يعني هذا التقليل من الترجمة بل على النقيض من ذلك فالترجمة والتعريب سابقة للانتاج الذاتي والشواهد على ذلك كثيرة .

---

(26) صفاء خلوصي ، المرجع السابق ، ص 8 .

المراجع

1) بشير العظمة ، «لغة العلوم» مجلة المعرفة ، عدد 47 — السنة الرابعة ص 7 — 10 .

2) عبد الرزاق قدورة ، «لغة العلوم» مجلة المعرفة ، عدد 55 ، 1966م ، ص 19 .

3) صفاء خلوصي ، «تعريب الجامعات احياء لكيان أكاديمي عربي أصيل» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، دمشق 1982م ، ص 3 .

4) عزة مريدن ، «لغة العلوم» ، مجلة المعرفة ، عدد : 55 ، 1966م ، ص 605 .

5) نفس المرجع ص 7 .

6) نفس المرجع ص 7 .

7) نفس المرجع ص 7 .

8) شحادة الخوري ، «تعريب التعليم» ، الشرق الأوسط ، 1981/11/29م ، ص 13 .

9) جاك تاجر ، «حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر» ، دار المعارف بمصر ، ص 23 .
صفاء خلوصي ، نفس المرجع ص 10 .

10) شحادة الخوري ، نفس المرجع ، ص 13 .

11) جعفر نوري ، «اللغة والفكر» ، مكتبة التومي ، الرباط ، 1971م ، ص 36 — 104 .

12) عبد الله اسماعيل : «بحث حول تعريب التعليم الجامعي العربي» ، ص 1 .

13) محمد عزيز الحبابي ، د. عبد الله العلايلي ، من كتاب «تأملات في النحو واللغة» .

14) محمد حسن ابراهيم ، «استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية دمشق 1982م ، ص 3 .

15) محمد حسن ابراهيم ، «اللغة العبرية في التعليم» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، الرياض ، 1979 ، ص 2 — 3 .

16) محمد حسن ابراهيم ، نفس المرجع ، ص 8 .

17) محمد حسن ابراهيم نفس المرجع ، ص 10 .

18) محمد حسن ابراهيم ، نفس المرجع ، ص 10 .

19) عبد العزيز بنعبد الله ، «مظاهر القوة والاصالة في اللغة العربية وأسباب الضعف الطارئ» ، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية — دمشق 1982 ، ص 15 .
عن احصاء قام به الأستاذ أحمد الأخضر غزال .

20) عبد السلام التونجي ، «أثر الجامعة واللغة في التعريب والتعليم العالي» ، ندوة تعريب التعليم الجامعي ، الرياض 1981م ، ص 12 .

21) عبد السلام التونجي ، نفس المرجع ، ص 8 .

22) عبد السلام التونجي ، نفس المرجع ص 8 .

23) محمد كامل حسين ، «اللغة والعلوم» ، مجلة اللغة العربية ، ص 12 ، 1960 ، ص 19 — 28 .

24) عبد الله اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 1 .

25) عبد السلام التونجي ، المرجع السابق ، ص 20 .

26) صفاء خلوصي ، المرجع السابق ، ص 8 .

(★) *Joshua A. Fishman, Some contrasts between Linguistically Homogeneous and Linguistically Heterogeneous political, sociological Inquiry, spring, 1966, p.152.*